المقطوعة

أسماء عبد العظيم
مصر / صيدلي

تجلس في مقعد يتوسط الصف في المربع ذاته بقلب القاعة حيث أدمنت الجلوس في ذلك المكان وكأنه جزء من الطقوس المميزة لزيارتها الأسبوعية. فقط هنا تشعر أنها في حالة انسجام مع ذاتها.

ثلاث دقات متتالية تؤهب الحضور لدخول عالم السحر الموسيقي. بدأت المقطوعة بـ(الجواب) ناعمًا رقيقًا ومسترسلاً يذكّرها بروحها البكر وإقبالها على الحياة لكنه ينقصه شيء ما.. ما إن بدأت تبحث عنه حتى رد عليها العازف بـ(القرار)، صوتًا منخفضًا وغليظًا، وقورًا، ترى فيه الحكمة الناتجة عن تجارب حياتية عميقة.

تركت نفسها أسيرة لتلاطم أمواج اللحن يأخذها من مقام (الحجاز) فيَرِنّ في أذنها صوت محمد رفعت بآيات سورة مريم، ويُبحر بمقام (النها وند) فترى العندليب يغني لحن بليغ (حبيبتي مَن تكون).. تسدل جفنيها في استسلام.. تتصاعد أحداث اللحن.. تزدحم الأفكار برأسها ما بين ذكرى قديمة وخبرة جديدة.. تطفو مشاعرها السلبية على السطح لزجة غير قابلة للذوبان، تقاومها مشاعر إيجابية مكتسبة بالعناد ثابتة بالكاد.. يتصاعد الصراع داخلها مع نهاية السلم الموسيقي.. تزداد نبضاتها.. تعلو الأنفاس.. تنكمش الجفون بشدة... إلى أن أفاقت على صرخة رجّت كيانها مدوية: (أناااا..... مَن؟؟.

تتلفت حولها منتظرة ذهول هذا الجمع السارح في دنيا الخيال... لكن لا شيء غير الصمت الذي يتوسط لحظات نقل ورقة النوتة من مقطوعة إلى أخرى.

أخذت نفسًا عميقًا واستعدت لمواصلة الاستمتاع. ربتت بيدها اليمنى على كتفها اليسرى برفق وشفقة قائلة: (ليكن للحديث بقيّة